أساليب المعاملة الوالدية وتأثيرها على تصور المراهقين للانحراف

دراسة ميدانية لعينة من المراهقين بمدينة تقرت

Parental Treatment Methods and their Effect on the Adolescents Perception of Delinquency

A field study of a sample adolescents in the city of Touggourt

أ.محفوظ بن زياني -جامعة قاصدي مرباح ورقلة-الجزائر

أ.أمـــــــــال باشـــــي -جامعة قاصدي مرباح ورقلة-الجزائر

ملخص: تناول هذا المقال جانب مهم في الحياة الأسرية في ظل ارتفاع الانحراف في أوساط شريحة المراهقين وفي أشكال مختلفة، حيث يهدف إلى الكشف عن العلاقة بين الوالدين والأبناء المتمثلة من خلال الأساليب التربوية الوالدية، والتي تترجم في القيم التي يكتسبها الأبناء من الوسط الأسري ممثلة بذلك إطارا مرجعيا يحكم تصرفاتهم وينعكس بدوره على سلوكياتهم وتصورهم في بناء شخصياتهم وتشكيل نمط حياتهم، وكذلك إلقاء الضوء على بعض العوامل المؤثرة في المعاملة الوالدية والتي من شأنها أن تساهم في بناء تصورات للمراهقين عن الانحراف.

الكلمات المفتاحية: أساليب المعاملة الوالدية، التصورات الاجتماعية، انحراف المراهقين.

Abstract: This article has dealt with an important side of the family life under the increasing rate of adolescents' deviance in different ways. In which, it aims to reveals the relationship between parents and children through parental educational ways, which are interpreted in the values that children get from their parents. These values are the background of children's behaviors and their supervisions to build their personalities and their lives. The article also has spotted some contributing factories in the parental treatment that can build adolescents' representations about deviance.

Keywords : parental treatment methods, social representations, deviance of adolescents.

مشكلة الدراسة:

نظرا لارتفاع نسبة الانحراف في أوساط شريحة المراهقين وفي أشكال مختلفة حيث أصبحت جرائم السرقة والتعدي على الأشخاص وتعاطي المخدرات وغيرها من الجرائم لا تقتصر على الكبار فقط بل صارت ترتكب من طرف الأطفال والمراهقين أيضا، وهو الأمر الذي عاد بالضرر على أفراد المجتمع وسلامتهم وأعراضهم وأموالهم وأمنهم وطمأنينتهم، فمثل هذه الجرائم تزعزع أمن البلاد ويخسر بذلك المجتمع خامات بشرية وعقول مبدعة عوض أن تسهم في دفع عجلة التقدم والتطور والرقي إلى الأمام مما يجعلها معطلة لا معطاءة وغير فاعلة.

وفي هذا الإطار تشير إحصائيات تمثل جنوح الأحداث في 23 دولة أوربية خلال عام 2003، إلى أن أكبر عدد للأحداث الجانحين كان في أيرلندا بنسبة 21,20% تليها استونيا بمعدل 19%، ثم فرنسا بنسبة 18,80%، حيث سجلت أقل نسبة في ايطاليا 2.40% (Marine, Boisson,2008, p7-15)، كذلك هو الحال في الدول النامية ولا سميا العربية، حيث تشير الإحصائيات بدولة الكويت والتي جاءت في تقرير إدارة الخدمات الاجتماعية والنفسية في "عام (1995-1994)، أن ما نسبته 63,85% من الذكور الجانحين من جنسية كويتية يقابلهم 36,15% إناث جانحات من جنسية غير كويتية، مرتكبين لجرائم مختلفة(خالد المسلم،1992، ص22).

ولقد باتت مدينة تقرت تعيش في خوف وقلق بسبب ظاهرة انحراف المراهقين، حيث أصبح سكان المدينة يعيشون اللا أمن، كما تشير إحصائيات الفترة الممتدة من سنة 2000 إلى غاية 2009، حول الأحداث الجانحين بمدينة تقرت إلى أرقام مخيفة ومتزايدة في شتى الجنح، حيث وجدنا ما عدده 1557 جنحة خلال عشر سنوات أي ما يعادل 157,40 جنحة مرتكبة سنويا(أصول الأحكام بمحكمة الأحداث تقرت) وهو رقم يستدعي الاهتمام من ناحية الدراسة.

إن الأسباب المؤدية للانحراف متشابكة ومتعددة فمنها عوامل وراثية، نفسية وعقلية اقتصادية، عوامل ثقافية، عوامل اجتماعية، ولعل أهم هذه العوامل الوسط الأسري وهو كل ما يتعلق باتصال وتفاعل الأسرة مع أبنائها، أين تقوم الأسرة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية بعملية تطبيع القيم الاجتماعية للفرد لتؤثر بذلك على سلوكهم المستقبلي وتحدد شخصيتهم التي يكونون عليها.

فالأسرة تعتبر الوسط الاجتماعي الذي يساعد على تكوين التصورات عن الانحراف سواء كانت إيجابية (تؤدي إلى الانحراف) أو سلبية (لا تؤدي إلى الانحراف)، التي تتكون لدى المراهق من خلال متغيرات متشابكة فيما بينها تتعرض لها كل أسرة كالأساليب التربوية المتبعة في الأسرة، حيث تختلف معاملة الوالدين للمراهق من أسرة لأخرى ومن بيئة لأخرى، لاسيما أثناء مرحلة المراهقة حيث يرافق هذه المرحلة نمو جسدي، نضج جنسي وعقلي وتغير نفسي أين يتعرض المراهق لأزمات مختلفة تعود إلى الصراع بين مرحلتي الطفولة والنضج، هذه المرحلة الحساسة والخطيرة في حياة المراهق تحتاج إلى معاملة ورعاية خاصة، فالأسرة التي تنتهج المعاملة الديمقراطية، يسودها الاستقرار والانسجام، وتكون علاقة الوالدين بالأبناء

مبنية على أساس الحب والاحترام، يعتمد فيها الوالدان على أسلوب الإقناع، الذي يتم عن طريق الحوار والنقاش و التوجيه، وإشباع حاجيات الأبناء، وكذا إعطاءهم الحرية مع مراقبتهم، حيث تمنحهم هذه المعاملة الشعور بالاطمئنان، الهدوء النفسي، والثقة المتبادلة، كما يعتمد هذا الأسلوب على الثواب والعقاب دون الإفراط، حيث تضع الأسرة ضوابط تحكمها.

أما الأسلوب الديكتاتوري فيقوم على معاملة الأبناء من أجل تعديل سلوكهم، يستعمل الصرامة الزائدة مع الطفل وإنزال العقاب بشكل مستمر سواء بالإيلام الجسدي أو اللفظي مثل السخرية والتقليل من شأن الفرد، حيث يعمل الوالدين على صد الأبناء كلما أرادوا التعبير عن اختيارهم أو إثبات وجودهم، ويصر الآباء على طاعة وإمتثال أبنائهم لأوامرهم دون نقاش مع كبح لرغبات المراهق.

كما يعتمد أسلوب التدليل والحماية الزائدة من قبل بعض الآباء، فيحاول بعض الوالدين تعويض ما حرموا منه في صباهم من حب وتدليل في أبنائهم بإغراقهم بالعطف والحنان الزائدين، حيث يقوم الأب أو الأم نيابة عن الإبن بجميع مسؤولياته والتزاماته استجابة مطلقة لرغبات الإبن، الخوف المفرط على الإبن من تعرضه للمخاطر، وهنا الوالدين يقيدان حرية الابن في حين هو بحاجة لبعض منها للتنفيس عن نفسه، أما أسلوب الإهمال واللامبالاة، فإنه يترك الابن دون تشجيع على أي سلوك مرغوب فيه ولا يعاقب على ذنب ارتكبه، يترك الحبل على الغارب، يترك دونما توجيه ولا ضبط، لا تشبع حاجياته المعنوية والمادية.

وانطلاقا من أن السلوك ألانحرافي هو الخروج عن معايير المجتمع والسلوك المضاد للجماعة، فإنه يبدو أن للأسرة المسؤولية الأولى في تشكيل معالم السلوك لدى المراهق وفقا لذلك النسيج المكون من المتغيرات السالفة الذكر والتي تشكل الوسط الأسري، ومن خلال الأرقام المتزايدة في جنوح الأحداث أردنا أن نضع تصورا نقرأ من خلاله إمكانية التنبؤ بانحراف المراهقين الذين ينتمون لنفس منطقة الدراسة من خلال متغيرات الدراسة.

وبالرغم من تناول الدراسات السابقة لأسباب انحراف المراهقين المتعلقة بالوسط الأسري، إلا أن الظاهرة في تزايد مستمر، ونظرا لغياب الدراسات السابقة حول المنطقة محل الدراسة وخاصة لدى عينة المراهقين الذين هم على وشك الوقوع في الانحراف، فيمكننا أن نطرح التساؤل التالي:

هل تؤثر أساليب المعاملة الوالدية على تصور المراهقين للانحراف؟

هذا التساؤل تندرج ضمنه العديد من التساؤلات الفرعية التالية:

هل يؤثر تدين المراهقين على تصورهم للانحراف مهما كانت المعاملة الوالدية؟

هل يؤثر حجم الأسرة على تصور المراهقين للانحراف مهما كانت المعاملة الوالدية ؟

هل يؤثر الوقت الذي يقضيه الوالدين مع المراهقين على تصورهم للانحراف مهما كانت المعاملة الوالدية؟

هل تؤثر جماعة الرفاق على تصور المراهقين للانحراف مهما كانت المعاملة الوالدية؟.

فرضيات الدراسة:

الفرضية العامة:

تؤثر أساليب المعاملة الوالدية على تصور المراهقين للانحراف.

الفرضيات الجزئية:

- مهما كانت المعاملة الوالدية فإن تدين المراهقين يؤثر على تصورهم للانحراف.
- مهما كانت المعاملة الوالدية فإن حجم الأسرة يؤثر على تصور المراهقين للانحراف.
- مهما كانت المعاملة الوالدية فإن الوقت الذي يقضيه الوالدين مع المراهقين يؤثر على تصورهم للانحراف.
- مهما اختلفت المعاملة الوالدية فإن جماعة الرفاق تؤثر على تصور المراهقين للانحراف.

تحديد مفاهيم الدراسة:

أساليب المعاملة الوالدية: وهي تلك الأنماط والأشكال التربوية التي ينتهجها الوالدين في تربية أبنائهم من أجل إكسابهم قيم ومعايير تتلاءم والمجتمع، وتتضمن هذه الأساليب أربعة أشكال: الأسلوب الديمقراطي، الأسلوب الديكتاتوري، أسلوب التدليل والحماية الزائدة، الأسلوب ألإهمالي.

التصـــــور: يعتبر Serge Moscovici من أبرز رواد نظرية التصورات الاجتماعية، والذي عرف التصورات على أنها نظام من القيم ومن المبادئ والممارسات المرتبطة بأشياء معينة سواء مظاهر أو أبعاد خاصة بالوسط الاجتماعي، والتي تسمح باستقرار إطار الحياة الخاصة بالأفراد والجماعات، كما تشكل أيضا أداة لتوجيه إدراكنا وكذا بناء استجاباتنا (Monique Lebrun, 2001, p96).

ولقد عرف Monique Lebrun" التصورات الاجتماعية على أنها مستنبطة من المعارف والقيم المشتركة، التي تتشكل من التفاعلات والتي تكون خيوط وشبكة هذه التصورات(Monique Lebrun, 2001, p11) أما عند Claude Flament "التصورات هي مجموعة منظمة من المعارف المتعلقة بموضوع، مشتركة بين أعضاء جماعة متجانسة بالنسبة لهذا الموضوع" (J.Claude Abric, 2003, p11)، وعليه فإن التصور هو مجموع الخبرات، المبادئ والقيم الخاصة بالفرد أو المجتمع التي بواسطتها يتم تشكيل وتوجيه سلوك الفرد، وللتصور حسب Moscovici طبيعة ايجابية وأخرى سلبية حسب الاتجاه.

التصور السلبي للانحراف: لا يمكن للمراهق القيام بسلوكيات منحرفة.

التصور الإيجابي للانحراف: مقدرة المراهق على القيام بسلوكيات منحرفة إذا ما توفرت لديه ظروف مساعدة على ذلك.

المراهقـــــــة: لقد عرفها (عاطف محمد غيث) على أنها "ذلك التحول الفيزيقي نحو النضج، وتقع بين بداية سن النضوج و بين بداية مرحلة البلوغ"(محمد عاطف غيث، 2006، ص17).

ويمكننا تعريف المراهقة على أنها مرحلة انتقالية في حياة الفرد و التي تبدأ من سن البلوغ(الخروج من مرحلة الطفولة) إلى سن الرشد، حيث يرافق هذه المرحلة تغيرات فسيولوجية متعلقة بالنمو الجسمي، انفعالات نفسية مثل سرعة الغضب والقلق، تغيرات متعلقة بالنمو الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية للمراهق ، وتغيرات في القوى العقلية مثل الذكاء.

الانحراف: حسب قاموس علم الاجتماع ل(ريمون بودون)، فإن الانحراف" مخالفة تعاقب عليها المعايير المعمول بها في نظام اجتماعي معين (Raymond, Boudon, 2005, p61)، وقد عرفه (معن خليل العمر) على أنه" تصرف غير ملتزم بقواعد المعيار الاجتماعي المرعية والمقبولة من قبل عدد كبير من أفراد المجتمع المحلي أو العام"(خليل العمر معن، 2009، ص56)، في حين أشار (عبد الهادي الجوهري) إلى أنه " السلوك الذي لا يتماشى مع القيم والمقاييس والعادات والتقاليد الاجتماعية التي يعتمدها المجتمع في تحديد سلوكية أفراده"(عبد الهادي الجوهري ، 1998، ص36)، وعليه فالانحراف هو كل سلوك سلبي خارج عن المألوف، يتنافى مع معايير وقيم المجتمع والتي يتوجب على الجماعة احترامها.

عينة الدراسة: لقد اعتمدنا في دراستنا على العينة العشوائية الطبقية والتي تستخدم لضمان تمثيل المجموعات المختلفة في المجتمع الإحصائي بشكل كاف في العينة وذلك لزيادة مستوى الدقة في تقدير معالم هذا المجتمع، حيث نقوم بإنشاء مجموعة من العينات المتجانسة بناء على المتغيرات التي نهتم بدراستها"(شاغا فرنكفورت، 2004، ص186) ، حيث تم أخذ ثلاث فئات متجانسة تمثل مراحل المراهقة الثلاث، كل مرحلة يمثلها 40 مراهق، أي بمجموع 120 مراهق، بمتوسطة التجيني محمد الواقعة بمدينة تقرت ولاية ورقلة، ثانوية الأمير عبد القادر بمدينة تقرت، جامعة قاصدي مرباح ورقلة بالجزائر، كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول رقم 01: جدول يوضح توزيع أفراد العينة حسب مراحل المراهقة والجنس.

الجنس / مراحل المراهقة	ذكور	إناث	المجموع
مراهقة أولـــى (متوسطة تجيني محمد)	12	28	40
مراهقة وسطى(ثانوية الامير عبد القادر)	12	28	40
مراهقة متأخرة (جامعة ورقلة)	12	28	40
المجموع	36	84	120

منهج الدراسة:

تم استخدام منهج التحليل المتعدد المتغيرات(التحليل الامبريقي للسببية) والذي يعتبر وليد المنهج الوصفي، وبول لازارس فيلد هو الأب الروحي لهذا المنهج، حيث يستخدم هذا الأخير في الدراسات الاجتماعية كون الظاهرة الاجتماعية معقدة ويتحكم بها عدد من المتغيرات المتشابكة يؤثر بعضها في بعض، حيث هناك العديد من المتغيرات المستقلة التي يساهم كل منها في إمكانية التنبؤ بالمتغير التابع"(شاغا فرنكفورت، 2004، ص423).

أدوات الدراسة:

لتحقيق أهداف الدراسة تم الاعتماد على الاستبيان في الدراسة، وهو"أداة من أدوات جمع البيانات، وظيفته الأساسية إضفاء أبعاد أكبر للبحث، والتحقق إحصائيا إلى أخر نقطة يمكن تجميع الفرضيات المبنية مسبقا، كما يحتوي على أسئلة موجهة للمبحوثين إما مغلقة وتكون الإجابة عنها محددة ببدائل، و أسئلة مفتوحة توحي للباحث بمعطيات أكثر ربما كانت غائبة عنه" (J.Claude Combessie, 1998, p33-41)، حيث تم زوبعة الأسئلة في الاستبيان المقدم للمبحوثين بغرض عدم الإيحاء بموضوع الدراسة والذي قد يتحسس منه المبحوث، كما تم توزيع نسبة 10٪ من مجموع الاستبيانات إضافية تحسبا لعدم استرجاع أو إلغاء البعض منها، كما قامت الطالبة كذلك شخصيا بتوزيع الاستبيانات على المبحوثين.

نتائج الدراسة:

نتائج الفرضية الأولى: مهما كانت المعاملة الوالدية فإن تدين المراهقين يؤثر على تصورهم للانحراف.

الشكل رقم 01: منحنى بياني يوضح تأثير المعاملة الوالدية على تصور المراهقين للانحراف حسب مستوى التدين.

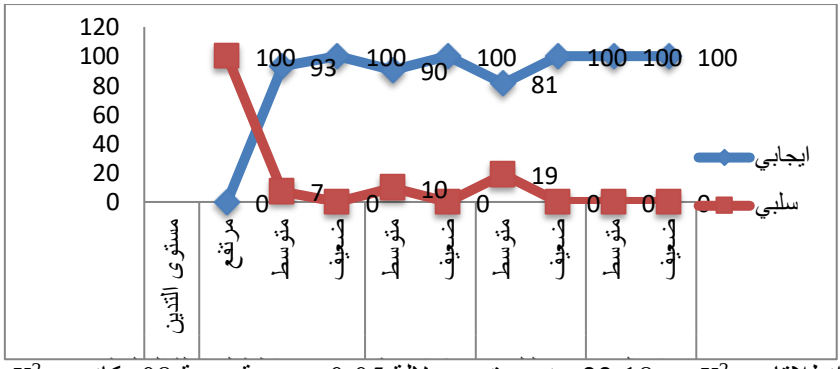

انطلاقا من X^2 = 22,18 عند مستوى دلالة 0,05 و درجة حرية 08، كانت X^2c المحسوبة أكبر من X^2t المجدولة المساوية ل 15,51، و جاءت قيمة فاي

Ø=0,43 فإننا نقبل الفرضية البديلة H_1 و التي تقر بوجود تأثير للمعاملة الوالدية على تصور المراهقين للانحراف حسب مستوى تدين المراهقين.

ومن خلال المنحنى البياني رقم 01، الموضح أعلاه نلاحظ أن منحنى التصورات الإيجابية والسلبية التقيا عند نقطة تقاطع وهذا دليل على وجود علاقة بينهما فنقول أن المراهقين الذين عوملوا معاملة ديمقراطية وكان مستوى تدينهم مرتفع جاءت تصوراتهم للانحراف سلبية بنسبة 100% في حين كانت تصوراتهم الايجابية للانحراف منعدمة، وهذا يعني أن لمستوى التدين المرتفع إضافة إلى المعاملة الديمقراطية أثر على تصورات المبحوثين للانحراف، فمن خصائص المعاملة الديمقراطية أنها تتميز بمرونة المعاملة مع الأبناء حيث توضع ضوابط من خلالها يتم التحكم في سلوكيات الأبناء، يكون أساسها الحب والاحترام، تعتمد على الحوار، التوجيه والإرشاد والتي بدورها تدعم الاتصال الفعال داخل الأسرة، حيث تسهم هذه الأساليب في تشكيل تصورات سلبية للانحراف بمعنى أن المراهق لا يميل إلى الانحراف، وتعزيز السلوكيات الايجابية عن طريق التشجيع والتحفيز.

كما يعمل الوالدين على إشباع حاجيات الأبناء المادية والنفسية ويتم كل ذلك من خلال التفاعل الايجابي بين الوالدين و الأبناء مما ينعكس إيجابا على سلوكهم وعلى شخصيتهم، لقوله (ص)"كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" (بشار عواد معروف، 1993، ص500)، حيث نلتمس من خلال هذا الحديث الدور الفعال والبصمة التي يتركها الوالدين في أبنائهم، فالأبناء هم بمثابة صفحة بيضاء يكتب عليها الوالدين ما يشاءون، من خلال التربية السليمة يدرك بذلك الأبناء قواعد التواصل ويتعرف على الحقوق والواجبات وطبيعة القيم الخاصة بمجتمعه، فكلما وفر له الوالدان الجو الاجتماعي السليم المطبوع بالاستقرار والباعث على تعليم الطفل حب الآخرين وكثيرا من القيم والتقاليد والمواقف التي تدل على التسامح يمكن أن يحقق بذلك التكامل الاجتماعي(عبد الله، علوان، 2001، ص9).

إن دور الوالدين لا ينحصر في إصدار الأوامر والنواهي بل يجب عليهما أن يكونا قدوة صالحة لأبنائهم وتربيتهم على الأخلاق كما قال الرسول (ص)"لأن يؤدب أحدكم ولده خير من أن يتصدق بنصف صاع كل يوم"(حمزة أحمد الزين، 1995، ص355)، وهذا دليل على فضل التربية الحسنة، كذلك على الوالدين استغلال الشعور الأخلاقي الذي ينمو في فترة المراهقة ولاسيما في المرحلة الوسطى والمتأخرة.

ومما لا شك فيه أن التدين هو القاعدة الأساسية التي يجب أن تبنى عليها كل جوانب الحياة، ومن هذا المنطلق توجب على الأسرة بذل أقصى جهدها في تنشئة أبنائها بإكسابهم العقيدة السليمة وتنمية الوازع الديني لديهم وإشعارهم بأهمية حسن الخلق من خلال النصح والتوجيه في الأمور الدينية وأن يعلم المراهق الأحكام الشرعية الخاصة بالصيام والصلاة، ويكون ذلك مدخلاً لإعطائه الفرصة للتساؤل حول أي شيء يدور حول هذه المسألة، حتى لا يضطر لأن يستقي معلوماته من جهات خارجية يمكن أن تضره أو ترشده إلى مسالك الحرام، لقوله تعالى:" يَا بُنَيَّ أَقِمِ

الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ، إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ(17) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ(18) "(القرآن الكريم، 2014، ص412).

وهذا ما ذهب إليه (تالكوت بارسونز) في الاتجاه الوظيفي حيث أكد على تكامل الأدوار ضمن النسق الاجتماعي الصغير من خلال ممارسة كل فرد في الأسرة لأدواره المنوطة به، ولا سيما الدور الوظيفي الإيجابي للوالدين تجاه الأبناء فإنه يؤدي حتما للاستقرار على مستوى النسق الصغير وبالتالي ينعكس على المجتمع الذي هو النسق الكبير فالأسرة هي التي تشكل القيم الأخلاقية لدى أبنائها المستقاة من خلال تعاليم الدين الإسلامي(سامية، مصطفى الخشاب، 2008، ص52)، فمن خلال التربية الدينية السليمة يمكن أن تتشكل تصورات سلبية للانحراف(لا إمكانية للانحراف).

نتائج الفرضية الثانية: مهما كانت المعاملة الوالدية فإن حجم يؤثر على تصورهم للانحراف.

الشكل رقم 02: منحنى بياني يوضح تأثير المعاملة الوالدية على تصور المراهقين للانحراف حسب حجم الأسرة.

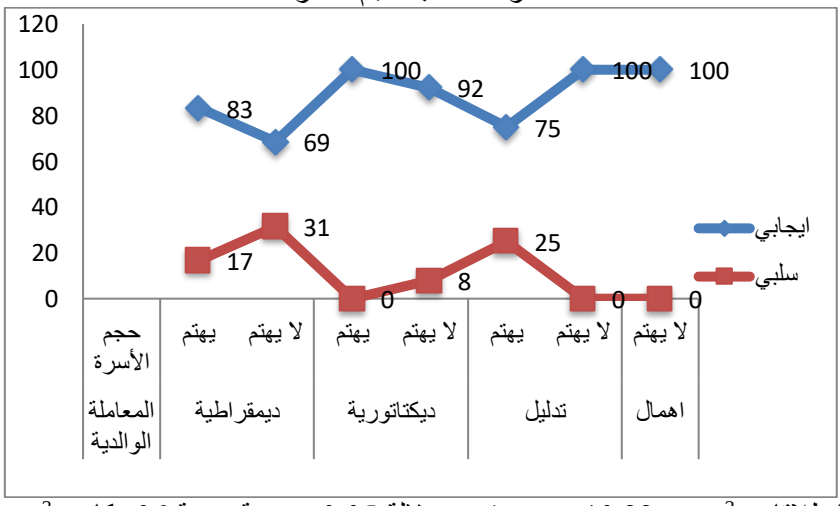

انطلاقا من X^2 = 10,22 عند مستوى دلالة 0,05 ودرجة حرية 06، كانت X^2c المحسوبة أقل من X^2t المجدولة المساوية ل 12,59، فإننا نقبل الفرضية الصفرية H_0 و التي تقر بعدم وجود تأثير للمعاملة الوالدية على تصور المراهقين للانحراف حسب حجم الأسرة، وكما هو موضح في المنحنى رقم 02، كلما إرتفع مستوى التدين وكانت المعاملة الوالدية ديمقراطية كانت تصورات المراهقين للانحراف سلبية، وكلما ضعف مستوى تدينهم ارتفعت تصوراتهم الإيجابية للانحراف بمعنى لديهم قابلية للانحراف.

ويعزى عدم تحقق الفرضية الثانية لعدم الاهتمام ويمكن إرجاع ذلك لعوامل سوسيو إقتصادية، فغالبية أسر المبحوثين يزيد عدد أفرادها عن الخمسة ليصل إلى 16 فرد في أسرة نووية الشكل إضافة إلى ضيق المسكن، كما أن أكثر من نصف العينة يسكنون في بيوت ضيقة لا يتجاوز عدد غرفها 4 ويوجد من الحالات من يسكن 9 أشخاص في غرفة واحدة، 11 فرد في غرفتين، 16 فرد في غرفتين والحالات كثيرة، في مثل هذا المناخ تكون عملية التنشئة الاجتماعية لا تأخذ مسارها الطبيعي ولاسيما أن أغلب الآباء بطالين أو يمتهنون مهن أغلبيتها بسيطة مما تشكل تهديدا بالبطالة، ويرتبط ذلك بالمستوى التعليمي المتدني للآباء الذي لا يسمح لهم بممارسة مهن توفر لهم الإشباع المادي في شتى المجالات، فإذا كثر عدد الأفراد حتما سوف تكثر الاحتياجات والطلبات فتقريبا ثلث العينة آباؤهم بطالين وحتى العاملين منهم لا يستطيعون تلبية جميع أفراد حاجيات العائلة في ظل غلاء المعيشة وتدهور القدرة الشرائية ومغريات الحياة التي تعترض كل أسرة مما يؤثر على الوظيفة الاقتصادية للأسرة التي "لطالما كانت عبر مر العصور وإلى يومنا هذا تمول أفرادها وتسد حاجياتهم المادية، كون هذه الوظيفة عصب رئيسي في الأسرة، إلى جانب تعزيز سلوك ذو نمط اقتصادي معين يتعلم فيه الأبناء طبيعة العمل الاقتصادي داخل المنزل في المستقبل وكما ذهب إليه (ميردوك)"من بين وظائف الأسرة الأساسية الدور الاقتصادي والذي يتمثل في إشباع حاجيات أفرادها"(سامية مصطفى الخشاب، 2008، ص47).

ومثل هذه الأوساط الأسرية يشيع فيها التمييز بين الأبناء وتقل الرقابة الوالدية مما يولد العنف لدى العديد من المراهقين فالعديد من المبحوثين يضربون أحد إخوتهم أو يقومون بإتلاف أغراض البيت تعبيرا عن غضبهم وجلبا لانتباه والديهم، فلا يستطيع الوالدين مراقبة سلوكيات وتصرفات 13 فرد من الأبناء، كما تقل العاطفة بحيث لا يستطيع الأولياء توزيع العاطفة والاهتمامات على كل أفراد الأسرة على السواء، كذلك ما يؤدي بالوالدين إلى عدم القدرة من متابعة تصرفات المراهقين في ظل الاحتكاك والصراع والخلافات الأسرية التي لا تشجع على بقاء الأبناء في البيت وبالتالي تمسكهم بالقيم والتقاليد مما يؤدي بخروج المراهقين من البيت بحثا عن متنفس آخر وبالتالي مما يفقد المراهق فرصة التوجيه داخل البيت مما يؤثر ذلك على تصرفاته.

نتائج الفرضية الثالثة: مهما كانت المعاملة الوالدية فإن الوقت الذي يقضيه الوالدين مع الأبناء يؤثر على تصورهم للانحراف.

الشكل رقم 03: منحنى بياني يوضح تأثير المعاملة الوالدية على تصور المراهقين للانحراف حسب الوقت الذي يقضيه الوالدين مع الأبناء.

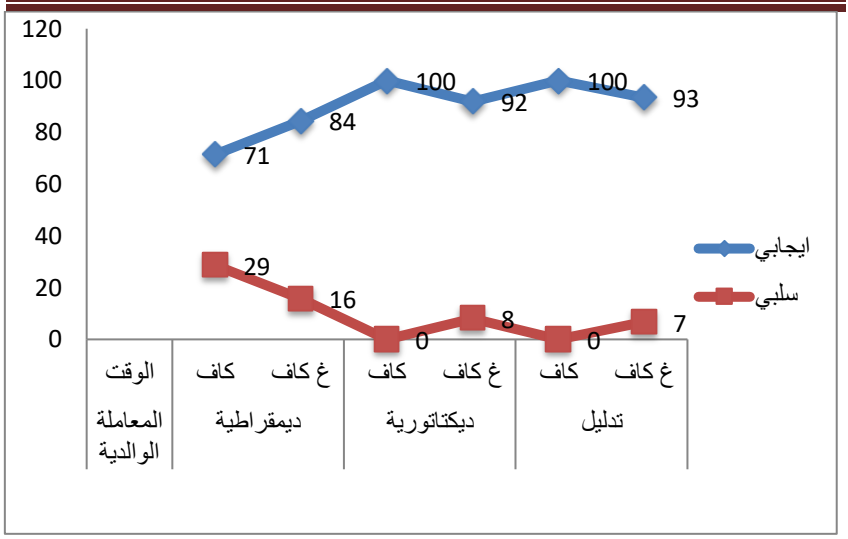

انطلاقا من X^2 = 10,22 عند مستوى دلالة 0,05 ودرجة حرية 06، كانت X^2c المحسوبة أقل من X^2t المجدولة المساوية ل 12,59، فإننا نقبل الفرضية الصفرية H_0 والتي تقر بعدم وجود تأثير للمعاملة الوالدية على تصور المراهقين للانحراف حسب حجم الأسرة.

ويعزى عدم تحقق الفرضية إلى أن أغلبية والدين المبحوثين يغيبون كثيرا عن البيت بسبب العمل فمنهم من يتغيب لعدة أيام، وذلك بحكم طبيعة العمل الذي هو خارج منطقة السكن، ذلك البعد الذي يترك فجوة في العلاقة الوالدية، حيث تقل الرقابة على الأبناء.

وكما نعلم أنه في المجتمعات العربية الأب هو صاحب السلطة الضابطة في البيت الأمر الناهي، فإذا غاب الوالد وتخلى عن وظيفته تصبح فرصة للأبناء لاستغلال هذا الغياب في عدم وجود الرقيب وينتج عنه حرية السلوك والوقوف على هوة الانحراف، وإن كانت الأم موجودة وتتمتع بالسلطة، لكن الله خلق لكل جنس وظيفة خاصة به فالأم لا تستطيع تقليد الأب في سلطته وضبطه وخاصة عندما يكون الأب موجودا ويغيب كثيرا عن البيت، مما قد يؤدي ببعض المراهقين بالتمرد على سلطة الأم، فهناك من الآباء من يعمل في نفس منطقة السكن لكن غيابه يدوم لساعات في اليوم فمنهم الآباء الذين يعملون أساتذة وأغلبيتهم يقدمون دروس الدعم الخصوصية وآخرون عمال شركات بترولية يغيبون لأيام، و آخرون سائقي أجرة، هذا الأخير على سبيل المثال يقضي يومه كله في الجري وراء لقمة العيش فهو يحاول جاهدا توفير ما أمكن من حاجيات وطلبات الأسرة.

وإضافة إلا أنه بحاجة إلى الحاجيات المادية التي يطلبها المراهق فهو في أمس الحاجة إلى استقرار نفسي وتحقيق توافق اجتماعي، كما يحتاج إلى التوجيه والإرشاد ويعزى ذلك الارتفاع في التصورات الإيجابية للانحراف(احتمالية الانحراف) إلى

ارتياد بعض الآباء أماكن منحرفة فتوجد نسبة قليلة لكن لا يستهان بها من الآباء المنحرفين والمتمثلة في 06% ولاسيما أن هذه الفئة تندرج تحت المرحلة الأولى للمراهقة، كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك في الفرضية الأولى، حيث يعود ذلك لخصوصية المنطقة التي تكثر فيها الرذيلة، مما يترك الأثر السلبي على المراهقين فإذا كان الأب القدوة منحرف فلا نستطيع أن نلقي باللوم على الأبناء تجاه سلوكياتهم المنحرفة، فجميع المراهقين الذين آباؤهم يرتادون أماكن منحرفة كانوا يتصورون الهروب كحل لمشاكلهم، مثل هذه الظروف تهيئ المناخ الجيد للانحراف، وهذا ما أشار إليه في (OMARI Florence) في دراسته إلى أن"غياب الأب أو الأم في حياة الطفل، تاريخ الأسرة و إدمان و جنوح أحد أفرادها، وضعف الروابط الاجتماعية هي التي من شأنها تؤدي إلى جنوح الأحداث" (FLORENCE, Omari, 2009, p115) كذلك الدراسة التي قامت بها منظمة (Sécurité Public Canada) والتي خلصت إلى "أن من بين أسباب الجنوح هي الممارسات الوالدية غير كافية، إجرام الوالدين والأخوة"(Sécurité Public Canada, 2008, p2)، كذلك قال(ليماي) بهذا الشأن أن"الصورة السلبية التي يكونها الطفل عن الراشد(خاصة الأب) مع غياب السلطة والروابط العاطفية غير الكافية تولد الانحراف"(بوخميس بوفولة، 2005، ص273)، وبهذا يكون قلة الوقت الذي يقضيه الوالدين مع الأبناء الذي يؤدي إلى قلة الإشراف والرقابة قد ساهم بشكل كبير في بناء تصورات ايجابية للانحراف بمعنى (إمكانية الوقوع في الانحراف).

نتائج الفرضية الرابعة: مهما كانت المعاملة الوالدية فإن جماعة الرفاق تؤثر على تصور المراهقين للانحراف.

الشكل رقم 04: منحنى بياني يوضح تأثير المعاملة الوالدية على تصور المراهقين للانحراف حسب جماعة الرفاق.

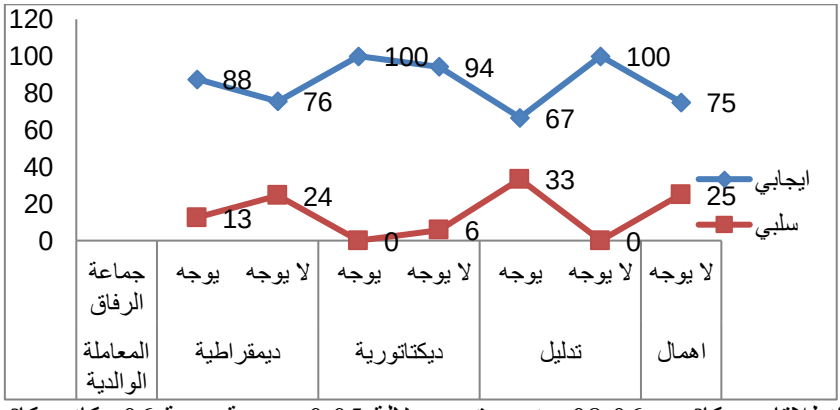

انطلاقا من كا^2 = 08,06 عند مستوى دلالة 0,05 ودرجة حرية 06، كانت كا^2 المحسوبة أقل من كا^2 المجدولة المساوية ل 12,59، فإننا نقبل الفرضية الصفرية H_0

أي عدم وجود تأثير للمعاملة الوالدية على تصور المراهقين للانحراف حسب جماعة الرفاق.

ويعزى عدم تحقق الفرضية إلى هذا الارتفاع إلى عدم توجيه الأبناء فيما يخص علاقتهم بأصدقائهم فهو عامل محفز فغياب الرقابة الوالدية تمنح شكلا من الحرية لدى المراهق الذي يسيء استغلالها، نقص الشعور بالمسؤولية والتجاوز عن الأخطاء الصغيرة من طرف الوالدين كأن يعامل المراهق بنفس معاملة الطفل، فإضافة إلى المعاملة الخاطئة فإن أغلب أصدقاء المبحوثين لا يؤدون صلاتهم بانتظام، ولا يهتم والديهم للأشكال الغريبة التي يتخذها أصدقاؤهم باسم الموضة كما يترك المراهق دونما توجيه فيما يخص نموه الجنسي حيث أغلبية العينة يلجئون للسؤال والاستفسار عن التغيرات الجسمية التي يمرون بها إلى الأصدقاء وفي ظل التطور التكنولوجي الهائل قد يذهب العديد منهم إلى الانترنت من أجل المعرفة وحب التطلع، فتكون له أول خطوة لتشكيل بعض صور الانحراف ولاسيما الانحرافات الأخلاقية، لدرجة أنها أصبحت قد تصبح انحرافا خطيرا، كما وجد مبحوثين في عينة الدراسة(المراهقة المبكرة) قاموا بالاعتداء جنسيا على صديق آخر بموافقته، ومن خلال زيارتنا المتكررة للمؤسسة وتحديدا للعينة التي أجريت عليها الدراسة (تعرفت على المبحوثين من خلال أسئلة مفتوحة في الاستمارة) لما استدرجت أحدهم في الحديث قال بأنه قام بالفعل المخل بالحياء رفقة صديقه على سبيل التجريب، بحجة أنهم كانوا يتابعون مقاطع فيديوهات خليعة كانت تتداول فيما بينهم في الهاتف النقال فاستحال عليهم القيام ذلك مع أنثى بسبب المشاكل التي قد تنجم عن الفعل، وهذا يدل على درجة وعيهم بالموقف، فحسب تصورهم لا ضرر في أن يقوموا بفعلتهم مع صديقهم، وكلاهما لم يتلق التوجيه اللازم من قبل الوالدين وكانت النتيجة وخيمة حيث يرتبط ذلك بالنمو الجنسي بالنسبة لمرحلتهم العمرية (المراهقة المبكرة). وهذا ما ذهبت إليه سعيدي فريدة في دراستها الأسرة و جنوح الأحداث حيث كانت من بين نتائج دراستها أن "العاطفة الزائدة والمتعمدة من طرف الوالدين تؤثر في سلوك المراهقين ولاسيما اتصالهم برفاق السوء والتصورات التي يحاولون رسمها سواء من الأحداث اليومية أو من الأفلام"(سعيدي، فريدة، 2005، ص178)، ومن خلال ما سبق نلاحظ أن عدم توجيه الوالدين للمراهقين بخصوص علاقاتهم مع أصدقائهم أدت بهم إلى تصورات ايجابية للانحراف (معرضون للوقوع في الانحراف).

النتائج العامة للدراسة

من خلال ما سبق فإن هذه الدراسة تدق ناقوس الخطر بحيث نرى أن الأسرة فقدت أهم مقوماتها التي ترتكز عليها وهي وظيفة التنشئة الاجتماعية بسب عوامل متعددة ومؤثرات خارجية، ويبرز هذا الخطر في المنطقة المسماة (عين الصحراء) أين أخذت عينة المراهقين الذين يندرجون ضمن مرحلة المراهقة المبكرة، حيث تعتبر منطقة خصبة لتفريخ الجريمة والانحراف حيث وجد انحراف بعينه وليس تصور للانحراف، كما يعد أغلبية المبحوثين في خطر معنوي بحيث يشكلون تهديد في زيادة أرقام الأحداث الجانحين في ظل تكاتف الظروف السابقة الذكر، وهذا ما ذهبت إليه

النظرية البنائية الوظيفية في تفسيرها للانحراف على أنه نتيجة خلل في وظائف الأسرة، وعليه فإن التصورات الاجتماعية التي يشكلها المراهقين تتكون نتيجة تفاعله مع أسرته وبيئته الاجتماعية من خلال الرموز والإشارات المتبادلة وهي التي تحدد سلوكياته.

وبناءا على أهمية المعاملة الوالدية ودور الأسرة في تربية وتوجيه الأبناء، ونظرا لأهمية التصورات التي تساهم في توجيه سلوكيات الأفراد، انطلقت الدراسة من فرضية عامة تتمحور حول تأثير المعاملة الوالدية على تصور المراهقين للانحراف، وعلى ضوء نتائج الدراسة توصلنا إلى أن المعاملة الوالدية لا تؤثر على تصور المراهقين للانحراف إلا في جانب التدين الذي من شأنه يكسب الفرد قيما أخلاقية إيجابية تهذب سلوكه وتمنعه من الانحراف، وكما قال الشاعر أبي الطيب المتنبي:"إنما الأمم الأخلاق، إذا ذهبت أخلاقهم ذهبوا"، أي التركيز على الجانب الأخلاقي.

ومن منطلق النتائج المتوصل إليها يجب على الوالدين الوعي بمرحلة المراهقة وفهمها والذي يعتبر تجاوز ناجح لها، وتهيئة أبنائهم للدخول في هذه المرحلة، وأيضا فهم ثقافة الجيل الجديد لكي يستطيع الآباء التعامل مع أبنائهم والمحافظة على نسق الأسرة في ظل تأثير الثورة التكنولوجيا والعولمة.

قائمة المراجـــــع:

المراجع العربية

1. القرآن الكريم(2014)، سورة لقمان، الآية 16-17، الدار العالمية للتجليد، مصر.
2. أرقام الجنح المقدمة تم الحصول علها من أصول محكمة تقرت.
3. بشار عواد معروف و أخرون(1993)،المسند الجامع، ج 16، ط1، دار الجيل، بيروت.
4. بوخميس بوفولة(2005)، التربية الأسرية وأثرها في انحراف الأحداث، رسالة ماجستير، علم اجتماع الجريمة والانحراف، جامعة باجي مختار عنابه.
5. خالد المسلم بسامة(1992)، تأثير علاقة الوالدين بالأبناء على جنوح الأحداث، مجلة العلوم الاجتماعية، ع4، خريف شتاء، الكويت.
6. حمزة أحمد الزين(1995)، المسند الجامع، ج 15، ط1، دار الحديث، القاهرة.
7. خليل العمر معن(2009)، علم اجتماع الانحراف، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان.
8. سامية مصطفى الخشاب(2008)، النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة، ط1، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة.
9. سعيدي فريدة(2005)، الأسرة و جنوح الأحداث، رسالة ماجستير، علم اجتماع الجريمة والانحراف، جامعة باجي مختار عنابه.
10. عبد الله علوان(2001)، تربية الأولاد في الإسلام، ج2، دار السلام للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت.
11. عبد الهادي الجوهري(1998)، قاموس علم الاجتماع. ط1، المكتب الجامعي الحديث، مصر.
12. فرنكفورت شاغا، دافيد ناشمياز(2004)، طرائق البحث في العلوم الاجتماعية، ط1، ترجمة ليلى الطويل، بترا للنشر والتوزيع، سوريا.

13.محمد عاطف غيث(2006)، قاموس علم الاجتماع. دار المعرفة الجامعية، مصر.

المراجع الأجنبية:

14.Boudon Raymond Et autres (2005), Dictionnaire de Sociologie, 2ème éd,boursière, Paris.

15.FLORENCE Omari (2009), La délinquance juvénile : Les discours des mineurs délinquants comme écho-familiale. Vers une meilleure compréhension de la délinquance à travers la dynamique relationnelle parents-enfants, Thèse de doctorat en science de l'éducation psychologie et criminologie, L'université européenne de Bretagne, Bretagne.

16.Jean Claude Abric (2003), Pratiques Sociales et Représentations, 4ème éd,PUF, Paris.

17.Jean-Claude Combessie (1998), La Méthode En Sociologie, Ed 01,Casbah éditions, Alger.

18.Marine Boisson et Laetitia Delannoy(2008), La responsabilisation des parents, une réponse à la délinquance des mineurs ? Perspective internationale, Départements questions sociales.

19.Monique Lebrun (2001), Les Représentations sociales des Méthodes de Recherches aux Problèmes de Société, Les éditions logiques, Québec.

20.Sécurité public Canada (2008), l'épreuve des faits- jeune à risque, Facteurs de risque et de protection dans les familles et leurs effets sur la délinquance juvénile : qu'en savons-nous ?, Canada.